كيف تَسْلم من تهديد توشك أن تقع فيه[1]

منْ يلتمس السلامة في بيته، يُؤمّنه ويحافظ عليه ويراقب مشتملاته، فإن ما فيه من أدوات وأجهزة وما به من بناء وأروقة هي لإسعاده، لكن هل السعادة تأتيك دون توفير أسبابها وتأمينها باستدعاء موجبها، واستيفاء أساسها؟ ذلك لن يكون إلا بتهيئة ظروف الأمان وعوامل الاستقرار، وجعل الخطر في سلة الحذر.

ومن لم يراع عوامل سلامته فقد وضع الخطر في مقربة منه، وبين هذا وذاك جمع من الإجراءات وعوامل من التدابير واليقظة والانتباه، فالمنزل كالسفينة ربانها الرجل تقع عليه مسئوليته، ودفتها المرأة، فهي ليست في معزل عن المسئولية، فهي راعية في بيتها وربة أسرتها، فكيف لها لا تلحظ ما يوحي بخطر محدق بها وبأبنائها؟!

فالرجل عادة ما يكون مهمومًا بعمله، يعمل ويكدح من أجل إسعاد أسرته، فهي بذلك مسئولة تقي نفسها وعيالها وزوجها شر الحوادث ومحدثات الأيام؛ ليبقى البيت موئل سكن لا ضررٍ يغمره أو أخطارٍ تهدده. فقد جاء في الحديث الشريف قَول رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلاثٌ** ".[2]

---

[1] نحو مفهوم شرعي للسلامة، د. عبد الله الطويرقي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٦هـ.

[2] مسند أحمد والحاكم.

ذكر منها السكن الصالح وأن أحد معالم صلاحية السكن أن يكون آمناً من خطر.

فبعض الحوادث المنزلية قد تكون مرعبة أو مميتة أو مقعدة أو مُقيَّدة، فكل يوم يُولد خطر جديد، وكل يوم يدخل البيوت حديث الاختراعات، ومستجد التقنيات، لا تخلو من خطر غير منظور لا ندركه مع الأسف إلا عندما يقع المحظور، وهي على ما تنطوي عليه من مضار على الأنفس، فهي أيضًا خسارة قد يصعب تعويضها بسهولة، كل ذلك بسبب كان بسيطًا قبل وقوعه. بمعنى: لو تنبَّهنا ولو بشيء من الملاحظة وبذل قليل من الاحتياط لكان ذلك كافيًا، وعندما أهملنا جانب السلامة حلَّ الخطر ومُني البيت بالحوادث. بعضهم يترك الأمور وكأنه يريد أن تحل نفسها بنفسها. ويقول: أنا متوكل ولا يأخذ بأسباب التوكل.

معلوم أن توكل المؤمن على الله من صحيح الإيمان وكمال التوحيد. يقول تعالى ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1]، لكن التوكل يلزم له موجبات وعوامل تُؤخذ في الحسبان لا ينافي معنى التوكل، كما يقول شيخ الإسلام ابن القيم، إذ جاء عنه قوله[2]: لا بد من مباشرة الأسباب إلى جانب التوكل وإلا كان معطلاً. فالإنسان مأمور بالتوكل على ربه مع الأخذ بالأسباب في جلب المنافع أو دفع المضار، وهو نهج نبينا –صلى الله عليه

[1] سورة المائدة، الآية: ٢٣.

[2] زاد المعاد.

وسلم- ومن ذلك قوله: "**غَطُّوا الْإِنَاءَ وَأَوْكُوا السِّقَاءَ وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ وَأَغْلِقُوا الْبَابَ**"[1]. وهذا رجل جاء على ناقته إليه وقال: يا رسول الله، أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال: "**اعقلها وتوكل**".[2]

وفي ذلك دليل على عناية الإسلام بالأخذ بالأسباب، وبما أن البيت محضن الأسرة، والمحافظة عليه مقصد من مقاصد الشريعة في درء الأخطار، وهدف رئيس نتوخاه لإبعاد شبح الحوادث ووضعها في الحسبان مطلب أساسي للبيت المأمون، وإلا كيف يكون آمنًا في غياب معاني السلامة إهمالاً وغفلة أو جهلاً وتجاهلاً؟!

ولن يكون البيت مأمونًا إذا غابت عنه روح اليقظة وفارقته الحيطة، وشاح عنه الحذر. فالسلامة أمنية كل حي، والتوجيه النبوي: "**اعقلها وتوكل**"، يعني أن نتخذ احتياطات السلامة ومستلزماتها متوكلين على الله بعد الأخذ بأسبابها، وهو توجيهٌ يضعه الإنسان نصب عينيه قبل أنْ يداهمه حدث على حين غرَّة وهو غارق في إهمال.

إن من شاكلة هذا كثيرين يُهملون ويُهملون حتى يتمكن منهم الإهمال، فإذا وقع الفأس في الرأس استيقظوا وتحمَّسوا؛ ليعاينوا ما تبقى من أثر حادث حريق، أو انتشار غاز خنيق، أو انفجار علب

---

[1] رواه ابن ماجه.

[2] رواه الترمذي.

مضغوطة ، أو تلوث مياه خزان الشرب أو تسرب سُميَّات، وقل ما شئت من الحوادث التي قاموا ليعاينوها بعد أن أصابهم مصابها، وربما كان يرددون لفظ السلامة مرارًا وتكرارًا، ومثل هؤلاء كانوا يسمعون عما يحدث، ويقرأون ما حل من حوادث ، فلا يعطونها أدنى اهتمام ، وكأنهم يستبعدون أن تحل أحزان الحوادث في ساحته.

❁❁❁